

## ازدهار الحركة العلمية في الحلة بعد سقوط بغداد بيد المغول

أ.د زين العابدين موسى جعفر

نوال كاظم حسن

جامعة كربلاء / كلية التربية للعلوم الانسانية

### الملخص :

من خلال دراستنا للدور الذي لعبه علماء الحلة ابان الغزو المغولي للعراق تبين انه كان لعلماء الحلة دوراً بارزاً في حفظ اراقة الدماء على يد المغول وذلك من خلال العملية التفاوضية التي قادوها مع زعيم المغول هولوكو حيث تمكنوا من خلال ذلك ان يجنبوا مدينة الحلة اثار الدمار على يد المحتلين كما حافظوا بذلك على صيانة المقدسات ودور العلم مما ولد نتائج ساهمت في ازدهار ونمو الحركة العلمية في مدينة الحلة.

### ABSTRACT :

Through our study of the role played by the scholars of Hilla during the Mongol invasion of Iraq, it was found that the scholars of Hilla had a prominent role in preserving the bloodshed at the hands of the Mongols, through the negotiating process that they led with the Mongol leader Hulagu, whereby they were able to avoid the city of Hilla from the effects of destruction at the hands of The occupiers also preserved the sanctities and the role of science, which generated results that contributed to the prosperity and growth of the scientific movement in the city of Hilla.

### المقدمة :

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على رسول رب العلمين محمد واله الطيبين الطاهرين.

تناول البحث الذي جاء بعنوان(ازدهار الحركة العلمية في الحلة بعد سقوط بغداد بيد المغول) الدور المميز الذي قام به علماء الحلة في حفظ مدينة الحلة من اثار الغزو المغولي وتجنب اراقة الدماء وتدمير المقدسات على يد المغول ، حيث تم تقسيمه الى فقرتين تضمنت الفقرة الاولى . جهود علماء الحلة في حفظ الحلة وحوزتها العلمية من غزو المغول، وتناولت الفقرة الثانية: جهود واسهامات العلماء والمحققين الحليين في الحركة العلمية.

## ازدهار الحركة العلمية في الحلة بعد سقوط بغداد بيد المغول المبحث الأول

### جهود علماء الحلة في حفظ الحلة وحوزتها العلمية من غزو المغول

لقد اصبح سقوط بغداد امرا وشيكا بيد المغول ، فالخليفة العباسي المستعصم بالله لم تكن لديه القدرة على الوقوف بوجه الزحف المغولي ، بالرغم مما قدمه للتتار المغول من الهدايا والتنازلات ، وفعلا تمت محاصرة بغداد من قبل التتار ، وكانت مدينة الحلة يومذاك من أهم المراكز العلمية في العراق ، فكانت مركزا معروفا للشيعة يسكنها علماء بارزون من الشيعة من أمثال المحقق الحلي ، والسيد سديد الدين يوسف بن علي بن مطهر والد العلامة ، والسيد رضي الدين ابن طاووس ، والسيد مجد الدين محمد بن الحسن بن طاووس والفقير ابن أبي العز وغيرهم ، فكان لا بد ان يقوم هؤلاء العلماء المسلمين في الحلة بعمل سريع من اجل تجنب مدينتهم خطر المغول بعد ان عجز الخليفة من دفع الخطر عن نفسه وعن مركز سلطانه ببغداد، وكذلك للحد من الخسائر وتقليلها ، وإنقاذ ما يمكن إنقاذه من دماء المسلمين وأعراضهم وأموالهم وتراثهم وأفكارهم من هذا الغزو المغولي<sup>(١)</sup>.

وما ان وصل هولاءكو إلى بغداد ، هروب أكثر أهل الحلة إلى البطائح إلا القليل من بقي هم ، وكان من جملة من بقي في الحلة انذاك والد العلامة الحلي العلامة سديد الدين يوسف بن علي بن مطهر الحلي ، والمحقق الحلي جعفر بن الحسن بن يحيى بن الحسن بن سعيد الهذلي ، والسيد مجد الدين ابن طاوس ، والفقير ابن أبي العز ، ولقد استقر رأيهم على أن يكتبوا إلى هولاءكو كتابا يطلبون منه الأمان للحلة ، وما والاها من المناطق ، وكتبوا كتابهم وارسلوه مع شخص أعجمي ، وبالمقابل وردا على كتابهم أرسل السلطان فرمانا إليهم مع شخصين جاء فيه: "إن كانت قلوبكم كما وردت به كتبكم تحضرون إلينا"<sup>(٢)</sup> .

وما ان حضر العلماء بين يدي هولاءكو ، حتى قال لهم : كيف قدمتم على مكاتبتي والحضور عندي قبل أن تعلموا بما ينتهي إليه أمري وأمر صاحبكم - أي الخليفة العباسي المستعصم - وكيف تأمنون إن يصلحني ، ورحلت عنه ، فقال له العلامة سديد الدين الحلي : إننا أقدمنا على ذلك ، لأنا روبنا عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قال في خطبة الزوراء : وما أدراك ما الزوراء ، أرض ذات أثل ، يشيد فيها البنيان ، وتكثر فيها السكّان ، ويكون فيها مهادم وخرّان ، يتخذها ولد العباس موطننا ، ولزخرفهم مسكنا ، تكون لهم دار لهو ولعب ، يكون بها الجور الجائر ، والخوف المخيف ، والأئمة الفجرة ، والأمرأة الفسقة ، والوزراء الخونة ، تخدمهم أبناء فارس والروم ، لا يأترون بمعروف إذا عرفوه ، ولا يتناهون عن منكر إذ أنكروه ، تكفى الرجال منهم بالرجال ، والنساء بالنساء ، فعند ذلك : الغم العميم ، والبكاء الطويل ، والويل والعويل لأهل الزوراء من سطوات الترك ، وهم صغار الحدق ، وجوههم كالمجان المطرقة ، لباسهم الحديد ، جرد مرد ، يقدمهم ملك يأتي من حيث بدا ملكهم ، جهوري الصوت ، قوي الصولة ، عالي الهمة ، لا يمر بمدينة إلا فتحها ، ولا ترفع عليه رأيه إلا نكسها ، الويل الويل لمن ناوأه ، فلا يزال كذلك حتى يظفر ، فلما وجدنا الصفات فيكم ، رجوناك فقصدناك ، فلما سمع ذلك كتب لهم فرمانا باسم العلامة يوسف بن المطهر ، يطيب

فيه قلوب أهل الحلة وأعمالها ، وفعلا بفضل حزم وتدبير العلامة ابن المطهر واصحابه من العلماء، جنبوا مدينة الحلة والكوفة الغراء والمشاهد المشرفة للأئمة الطاهرين عن فتك المغول ووحشيتهم<sup>(٣)</sup>.

كذلك ذهب وفد ثاني بعد وفد السيد سديد الدين الحلّي ، والتقى بهولاكو ، وكان يترأس الوفد السيد مجد الدين ابن طاووس وضم جمع كبيرا من وجهاء العلويين ، وانه التقى هولاكو بعد أن اطمأنوا إليه في المرة الاولى ، ويروي ابن الفوطي قصة الوفد الثاني، فيقول: أنه في سنة ٦٥٦هـ سار السلطان هولاكو خان من بلاده نحو بغداد ، وكان أهالي الحلة والكوفة قد هربوا إلى البطائح بأولادهم وأموالهم ، فذهب وفد من أكابر العلويين والفقهاء مع مجد الدين ابن طاووس العلوي إلى حضرة السلطان وسألواه حقن دمائهم ، فأجاب سؤالهم وعين لهم شحنة ، فعادوا إلى بلادهم وأرسلوا إلى من في البطائح من الناس ، فحضروا بأهليهم وأموالهم وجمعوا مالا عظيما وحملوه إلى السلطان<sup>(٤)</sup>.

وقال النسابة الشهير السيد جمال الدين أحمد بن علي بن الحسين المعروف بابن عنبه في ترجمة مجد الدين ابن طاووس : ان السيد بن طاووس خرج إلى السلطان هولاكو، واهدى له كتاب " البشارة " وبذلك سلم الحلة والنيل والمشهدين الشريفين من القتل والنهب ، ورد إليه حكم النقابة بالبلاد الفراتية<sup>(٥)</sup> ، ولقد ذكر السيد ابن طاووس هذا اللقاء مع هولاكو في كتابه الكبير الاقبال حيث قال : ففي سنة ٦٥٦هـ فتح ملك الأرض بغداد ، وكنت مقيما بها في داري بالمقيدية ، وبتنا في ليلة هائلة من المخاوف الدنيوية ، فسلمنا الله جل جلاله من تلك الأهوال ، ولم نزل في حمى السلامة الإلهية وتصديق ما عرفناه من الوعود النبوية إلى أن استدعاني ملك الأرض إلى دركاته في صفر وولاني على العلويين والعلماء والزهاد ، وصحبت معي نحو ألف نفس ومعنا من جانبه من حمانا ، إلى أن وصلت الحلة ظافرين بالأمال ، وقد قررت مع نفسي أنني أصلي في كل يوم من مثل اليوم المذكور ركعتي الشكر للسلامة من ذلك المحذور<sup>(٦)</sup>.

ومهما يكن من امر فقد نجحت خطة علماء الحلة في تجنب الحلة خطر التتار ، وإنقاذ ما أمكن إنقاذه من دماء المسلمين وأعراضهم وتراثهم وأموالهم ، ولو اراد الجيش المغولي أن يقدم على الإبادة والتخريب والنهب والحرق في الحلة ما صنعه ببغداد لكان عظم الكارثة أعظم ، ومما يؤسف له أن الذين أرحوا لهذه الفترة لم يعرفوا قيمة الدور الذي نهض به علماء الحلة من درء الخطر عن مدينتهم وغيرها ، ورغم ذلك كله نجد بعض المؤرخين يفسر تحرك علماء الشيعة في هذه الفترة بهذا الاتجاه تفسيرا سلبيا مغاليا في السلبية مفرطا في سوء الظن<sup>(٧)</sup>.

ولكن في حقيقة الامر ان عمل علماء الحلة هذا لم يكن مساومة للمغول ، ولا مساعدة لهم لتسليط الكافر على المؤمن ، بل بسبب ما رأوه من تصرفات الخليفة العباسي وانهماكه في لهوه ولعبه ، واهماله لمصير الأمة الإسلامية اضافة لعدم وجود قدرة كافية انذاك لمواجهة الغزو المغولي ، فكانوا يعلمون أن المغول التتار إذا دخلوا بلدة سوف يجلبون لها الدمار والهلاك والسبي والتعدي على الدين والمذهب<sup>(٨)</sup>، فأراد هؤلاء العلماء الحلبيين إصلاح هولاكو وردعه عن ارتكاب الجرائم ، وهدايته من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ولقد أثمرت هذه الخطوة من قبل علماء الحلة ، ودور نصير الدين الطوسي أن أسلم هولاكو وكثير من المغول

، واستطاع الطوسي الذي صار وزير لهولاكو فيما بعد من الحفاظ على ما تبقى من التراث الاسلامي الشيعي، وقام بعد ذلك بهمام كبيرة في خدمة العلم والعلماء ، والحفظ على النفوس والدماء<sup>(٩)</sup> .  
وقد يشكك ويشكل بعض الناس على عمل فقهاء الحلة هذا، وأنهم تركوا الجهاد الدفاعي عن الإسلام وعن الخلافة وعن منطقتهم ، وأن ما قاموا به كان استعجال ومغامرة قد تصيب وقد تخطأ ، وجواب ذلك أن هؤلاء الفقهاء الكبار يعرفون أن الجهاد الدفاعي لا يجب مطلقاً بل له شروط لم تكن متوفرة في العراق ، فمنها إيمانه ، وفائدته ونتيجته ، وقيادته الشرعية<sup>(١٠)</sup> .

واستطاع علماء الشيعة أن ينقلوا ما تبقى من مراكز العلم والكتب والعلماء في بغداد إلى الحلة ، ولقد كان للمحقق نصير الدين الطوسي ، والذي كان يحظى باحترام كبير من قبل هولاكو الدور الكبير في إنقاذ ما أمكن إنقاذه من العلماء والمكتبات في بغداد<sup>(١١)</sup> .

فكان من نتائج سقوط بغداد على يد هولاكو التتري وبقاء الحلة مأمونة من شره ان ازدهرت مدينة الحلة علمياً إذ أخذت هذه البلدة المأمونة تستقطب الشاردين من بغداد من الطلاب والأساتذة والفقهاء وانتقل معهم التراث والنشاط العلمي إلى الحلة ، وبذلك استقرت الحوزة العلمية الكبرى للشيعة الإمامية في الحلة ، وظهر فيها مجموعة كبيرة من الفقهاء المبدعين الذين طوّروا مناهج البحث الفقهي والأصولي، ونظّموا أبواب الفقه ووسّعوه كما طوّروا علمي الحديث وأصول الفقه ، كالمحقق والعلامة الحليين وفخر المحققين ابن العلامة وابن أبي الفوارس وابن طاووس والشهيد الأول<sup>(١٢)</sup>.

وبالتالي فقد كان لعلماء الحلة الفضل الكبير في مواجهة الغزو المغولي بل انهم تمكنوا من الحفاظ على العلم والعلماء في بغداد ، فقد كانت بغداد أعظم مراكز العلم في العالم الإسلامي على الإطلاق ، ولو كان التخريب الذي أحدثه المغول والذي أصاب كافة مرافق الحياة في بغداد قد أصاب مراكز العلم في فيها لعظمت محنة المسلمين في هذه الكارثة أضعافاً مضاعفة ، ولكن علماء الشيعة استطاعوا أن ينقلوا ما تبقى من مراكز العلم والكتب والعلماء في بغداد إلى الحلة ، وكان للمحقق نصير الدين الطوسي الذي احتبسه السلطان لنفسه ، والذي كان يحظى باحترام كبير من قبل هولاكو الدور الكبير في إنقاذ ما أمكن إنقاذه من العلماء والمكتبات في بغداد<sup>(١٣)</sup>.

وبدأت الحلة تستقطب الشاردين من بغداد من الطلاب والأساتذة والفقهاء ، وانتقل معهم النشاط العلمي من بغداد إلى الحلة ، واحتفلت هذه البلدة بما كانت تحتفل به بغداد من وجوه النشاط الفكري من ندوات وبحث وجدل ، وحلقات الدراسة ، والمكاتب ، والمدارس وغيرها<sup>(١٤)</sup> .

وبعد ان استقرت المدرسة في الحلة ظهر فيها فقهاء كبار كان لهم الأثر الكبير في تطوير مناهج الفقه والأصول الإمامية ، وتجديد صياغة عملية الاجتهاد ، وتنظيم أبواب الفقه كالمحقق الحلي والعلامة الحلي وولده فخر المحققين وابن أبي الفوارس والشهيد الأول وابن طاووس وابن ورام وغيرهم من فحول العلماء ورجال الفكر<sup>(١٥)</sup> .

وأصبحت الحلة منذ هذا التاريخ مركزاً علمياً من كبريات مراكز العلم في العالم الإسلامي ، وازدهرت بالفقهاء والمحدثين والمفسرين والحكماء والأدباء والشعراء وبالمدارس العلمية ، وحفلت هذه المدارس بأعداد

كبيرة من شباب الطلبة الوافدين إلى الحلة من الشام وإيران والمدن العراقية والجزيرة ، ولقد بنى السيد فخار بن معد الموسوي مجمعا سكنيا لطلبة العلوم الإسلامية<sup>(١٦)</sup>، حتى قيل: انه عاش في الحلة خمسمائة مجتهد في قرن واحد ، وهذا الاحصاء دليل واضح على رواج سوق العلم والأدب والثقافة الاسلامية في هذه المدينة التاريخية<sup>(١٧)</sup> .

## المبحث الثاني

### جهود واسهامات المحقق والعلامة الحلبيين

ان الفترة المحصورة ما بين وفاة ابن إدريس وظهور المحقق الحلبي على الساحة العلمية ، وإن كانت قليلة إلا أنها لم تتجب من فطاحل الفقهاء ومشاهيرهم وأصحاب التصنيف والتأليف في الفقه والأصول أحدا ، استطاع لم شمل الفقه والهيمنة على الساحة العلمية ، حتى ظهور المحقق الحلبي الذي حمل أعباء هذه المهمة الدينية الخطيرة<sup>(١٨)</sup> .

ويمكن القول ان مدرسة الحلة بدأت نشاطها العلمي الكبير في مختتم القرن السادس يوم قام ابن إدريس بنفض غبار التقليد عن كاهل الفقه ورفع راية الاجتهاد ، فالتف حوله نخبة من الفضلاء الأفاضل حتى أضحت مدرسته النواة الأولى لمدرسة الحلة فيما بعد فقد أعقبه علماء اخرون ساروا على نهجه كالمحقق الحلبي، وابن نما الحلبي ، وابن طاووس ، ، وابن سعيد الحلبي . وقد استمر نشاطها في القرون المتتالية حتى أواخر القرن التاسع ، ومع أن الحملة المغولية محت كثيرا من الآثار العلمية في حاضرة العراق ودمرتها ، إلا أن الحوزة العلمية في الحلة بقيت مصونة عن شرهم واستمر نشاطها إلى مختتم القرن التاسع<sup>(١٩)</sup>

فبعد ابن إدريس الحلبي وصل الدور إلى المحقق الحلبي المتوفى سنة ٦٧٦ هـ في بروز مدرسة الحلة الفقهية وتطورها، فألف في أصول الفقه الكثير من الكتب المهمة في اصول المذهب من ابرزها نهج الوصول إلى معرفة الأصول و معارج الوصول إلى علم الأصول ، وبدأت مرحلة جديدة من مراحل تطور الفقه ، فقد ظهر المحقق الحلبي على الساحة العلمية الفقهية كفقيه أوجد بلا منازع ، ينشر علوم آل البيت ويربي التلاميذ ، ويواصل ويجدد المسيرة العلمية رغم الظروف المضطربة التي كانت سائدة آنذاك فقد ابتدأ هذا الدور بالبحث والنقد والتحليل على طرز خاص<sup>(٢٠)</sup> .

فاعتبر المحقق الحلبي رائداً لحركة التجديد في مناهج البحث الفقهي والأصولي في مدرسة الحلة ، ويكفي في فضله على المدرسة الفقهية أنه تخرج به خلق أبرزهم ابن أخته الحسن بن يوسف ابن المطهر المعروف بالعلامة الحلبي المتوفى ٧٢٦ هـ ، وأنه خلف كتباً قيمة في الفقه لا يزال الفقهاء يتناولونها كشرائع الإسلام في مجلدين ، وكتاب النافع ، وكتاب المعبر في شرح المختصر ، وكتاب نكت النهاية ، وكتاب المعارج في أصول الفقه ، وكتاب المسلك في أصول الدين والتي ورد فيه اخبار عن الامام المهدي عليه السلام وغير ذلك<sup>(٢١)</sup> .

فكان المحقق الحلبي من أبرز رجال هذه المرحلة في مدرسة الحلة فقها وتديسا وزعامة وكان درسه هو الدرس الرئيسي الأول في هذه المدرسة ، وأكثر فقهاء الحلة يعدون من تلامذته أو من تلامذة تلامذته ، وكانت دروسه تحفل بالعلماء والفقهاء والمجتهدين ، هذا إلى جانب الزعامة الدينية التي كان ينهض بها المحقق في هذه الفترة ، ولم يكن ينافسها فيها أحد من معاصريه كما يظهر ، فكان المحقق الحلبي أبرز رجال هذه الفترة في الفقه والزعامة والمرجعية<sup>(٢٢)</sup>

حتى قيل: ان هولاء بعث المحقق نصير الدين الطوسي إلى الحلة ، فاجتمع بالمحقق الحلبي أكثر من مرة ، وأعجب به وأكبره وحضر درسه ، فأراد المحقق أن يعطل الدرس احتراماً له ، فطلب المحقق نصير الدين الطوسي منه أن يستمر في درسه ، ولقد كان المحقق الطوسي يطلب من المحقق الحلبي أن يقيم له علماء الحلة ، فقال العلامة الحلبي في اجازته الكبيرة لبني زهرة حيث قال: وكان الشيخ الأعظم الخواجة نصير الدين محمد بن الحسن الطوسي قدس الله روحه وزيراً للسلطان هولاء ، فأنفذه إلى العراق ، فحضر إلى الحلة ، فاجتمع بفقهاؤها ، فقال للفتية نجم الدين أبي القاسم جعفر بن سعيد من اعلم هؤلاء الجماعة، فقال له: كلهم فاضلون علماء ، وان كان واحد منهم بارزاً في فن كان الآخر قد برز في فن آخر، فقال له: من اعلمهم باصول العقائد والفقه ، فأشار إلى والدي سديد الدين يوسف بن المطهر وإلى الفقيه مفيد الدين محمد بن جهم، فقال هذان اعلم الجماعة بعلم الكلام وأصول الفقه، فتكدر الشيخ يحيى بن سعيد ابن عمه المحقق الحلبي، وكتب إلى ابن عمه أبي القاسم يعتب عليه وأورد في مكتوبه أبياتا وهي :

لا تهن من عظيم قدر وان كنت مشاراً اليه بالتعظيم

فالكبير اللبيب ينقص قدراً بالتعدي على اللبيب الكريم

ولع الخمر بالعقول رمى الخمر بتنجيسها وبالتحريم

كيف ذكرت ابن المطهر وابن الجهم ولم تذكرني فكتب اليه يعتذر اليه ، ويقول لو سألك الخواجة مسألة في الأصوليين ربما وقفت وحصل لنا الحياء<sup>(٢٣)</sup> .

فكان يحضر درس المحقق الحلبي أربعمئة من المجتهدين الجهابذة ، وهو أمر قلما يحصل في تاريخ المدارس والدروس ، فقلما يتفق أن يجتمع أربعمئة مجتهد في منطقة واحدة فضلاً من أن يجتمعوا في درس واحد ، فكانت الحركة العلمية في عصره بلغت شأواً عظيماً حتى صارت الحلة من المراكز العلمية في البلاد الإسلامية<sup>(٢٤)</sup> ، مضافاً إلى ذلك فقد هذب المحقق آراء الشيخ الطوسي وبلورها ودون أصولها ، واستنفاذ كثيراً من اعتراضات وانتقادات ابن إدريس ، وقابل تلك الانتقادات الدفاع عن مدرسة الشيخ<sup>(٢٥)</sup> .

ولقد اصبح كتابه شرائع الاسلام محورياً للبحث والتعليق والتدريس في الحوزة بدلاً عن كتاب النهاية الذي كان الشيخ الطوسي قد ألفه قبل المبسوط ويعتبر هذا التحول من كتاب النهاية إلى كتاب الشرايع تطور كبير في مستوى العلم ، لان كتاب النهاية كان كتاباً فقهيًا يشتمل على أمهات المسائل الفقهية وأصولها ، وأما كتاب الشرايع فهو كتاب واسع يشتمل على التفريع وتخريج الاحكام وفقاً للمخطط الذي وضعه الشيخ في المبسوط ،

فاحتلال هذا كتاب الشرايع المركز الرسمي على كتاب النهاية في الحوزة واتجاه حركة البحث والتعليق إليه يعني أن حركة التفريع والتخريج قد عمت واتسعت حتى أصبحت كل الحوزة تعيشها<sup>(٢٦)</sup>.  
ومما لاشك فيه أن المحقق الحلّي هو أهمّ مجتهد وفقه شيعي بعد ابن إدريس أدّى دورا مصيريا في إنضاج الفقه وتطويره ، وفي أشهر كتبه الفقهية شرائع الإسلام الذي يعتبر أهمّ مصدر في التحقيق والتدوين والتبويب الفقهي في العصور التي تلتها<sup>(٢٧)</sup>

فاصبحت الحلة مركز نهضة علمية ثقافية عظيمة بزغت شمسها في أوائل القرن السادس للهجرة ، ونتيجة لذلك فقد ظهر فيها فريق عظيم ، من العلماء والفقهاء والأطباء والفلاسفة والأدباء والشعراء ما لا يحصون وخدموا العلوم الاسلامية والفنون والآداب العربية ، خدمات جلى وقد ذكر العلامة الخونساري في كتابه الروضات نقلا عن بعض الرواة النفاة ما مضمونه أنه عاش في الحلة خمسمائة مجتهد في قرن واحد ، فضلا عن سائر القرون ، وهذا الاحصاء دليل من الأدلة الواضحة الناصعة التي تثبت لنا رواج سوق العلم والأدب والثقافة الاسلامية في هذه المدينة التاريخية في القرون المتقدمة<sup>(٢٨)</sup> .

ومهما يكن من أمر فقد كانت مدرسة الحلة امتدادا لمدرسة بغداد ، وتطويرا لمناهجها وأساليبها ، وبالرغم من الفتح الفقهي الكبير الذي أحدثه الشيخ الطوسي لمدرسة بغداد والذي كان بداية لفتح جديد ومرحلة جديدة في الاستنباط ، الا انه قدر لمدرسة الحلة فيما بعد أن تعمق مكاسب هذه المدرسة وتطورها ، ولولا جهود علماء هذا العصر لظلت مدرسة بغداد على المستوى التي خلفها الشيخ من ورائه ، ولما قطعت هذه المراحل الطويلة التي قطعتها فيما بعد على أيدي علماء كبار أمثال المحقق ومن بعده العلامة والشهيد وغيرهم<sup>(٢٩)</sup>.

واما في عهد العلامة الحلّي المتوفى ٧٢٦ هـ فقد بلغت مدرسة الحلة في حياة العلامة ، وبفضل جهوده القيمة مكانة مرموقة في العلم ، ولئن كان الشيخ الطوسي بلغ قمة الفكر الفقهي لمدرسة بغداد ، فقد بلغ العلامة الحلّي من بعده قمة الفكر الفقهي لمدرسة الحلة ، حيث قدر لمدرسة الحلة ونتيجة لممارسة هذا اللون الجديد من التفكير والاستنباط على يد العلامة الحلّي أن تسمح عنها مظاهر البدائية ، وأن تسوي من مسالكها ، وأن توسع الطريق للسالكين ، وتمهدها لهم<sup>(٣٠)</sup>.

ومن ابرز جهود العلامة الحلّي العلمية هو علاقته بالسلطان خدا بنده<sup>(٣١)</sup> الذي كان راعيا للعلامة الحلّي ونشاطه العلمي انذاك ، فلقد عرف عن السلطان خدا بنده بأنه كان صاحب ذوق ويتصف بصفات جليلة وخصال حميدة ، ويحب العلم والعلماء ، وكان يعتني بهم كثيرا ، وكانت أكثر معاشرته ومؤانسته معهم ، فنتشر العلم في دولته وروج له كثيرا ، ومن اوجه انصاف هذا السلطان وحبه للعلم جمع علماء المسلمين للمباحثة فيما بينهم ليختار المذهب الصحيح ، وبعد المناظرات الطويلة أختار المذهب الإمامية بفضل العلامة الحلّي<sup>(٣٢)</sup>.

فقد روي أنه مرت على السلطان محمد خدا بنده في فترة سلطنته عدة احداث جعلته يعتقد المذهب الشيعي بفضل العلامة الحلّي ، فقد روي ان السلطان أولجايتو محمد المغولي الملقب بشاه خدا بنده غضب على إحدى زوجاته ، فقال لها : أنت طالق ثلاثا ، ثم ندم على ذلك فسأل العلماء فقالوا : لا بد من المحلل ،

فانزعج السلطان من قولهم ، فقال له أحد وزرائه واسمه طرمطار: في الحلة عالم يفتي ببطلان هذا الطلاق ، فقال العلماء الحاضرين : إن مذهبه باطل ، ولا عقل له ولا لأصحابه ، ولا يليق بالملك أن يبعث إلى مثله ، فقال الملك : نحضره ونرى كلامه ، فأحضر العلامة الحلبي ، فلما حضر جمع له الملك جميع علماء المذهب ، فلما دخل على الملك أخذ نعله بيده ودخل وسلم ، وجلس إلى جانب الملك ، فقالوا للملك : ألم نقل لك إنهم ضعفاء العقول ، فقال : استلوه عن كل ما فعل ، فقالوا له : لماذا لم تركع للملك ، فقال لأن رسول الله صلى الله عليه وآله لم يكن يركع له أحد ، وكان يسلم عليه وقال الله تعالى: ( فإذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم تحية من عند الله مباركة )<sup>(٣٣)</sup> ، فلا يجوز الركوع والسجود لغير الله ، فقالوا : فلم جلست الى جنب الملك ، فقالوا له: فلم أخذت نعليك بيدك وهو خلاف الأدب ، فقال : خفت أن يسرقه بعض أهل المذاهب كما سرقوا نعل رسول الله صلى الله عليه وآله ، فقالوا : إن أصحاب المذاهب لم يكونوا في عهد رسول الله ، بل ولدوا بعد وفاته ، فقال العلامة الحلبي للملك : قد سمعت اعترافهم ، فمن أين حصرنا الاجتهاد فيهم ولم يجوزوا الأخذ من غيرهم ، فسأل الملك : ألم يكن أحد من أصحاب المذاهب موجود في زمن النبي او الصحابة ، فقالوا : لا ، فقال العلامة الا علي بن أبي طالب عليه السلام وهو نفس رسول الله صلى الله عليه وآله ، وأخيه وابن عمه ووصيه ونحن نأخذ مذهبنا عنه وعن أولاده من بعده ، فسأله الملك عن الطلاق ، فقال : باطل ، لعدم الشهود العدول ، وجرى البحث بينه و بين العلماء حتى ألزمهم جميعا ، فتشيع الملك ، وخطب ، بأسماء الأئمة الاثني عشر في جميع بلاده ، وأمر فضربت السكة بأسمائهم وأمر بكتابتها على المساجد والمشاهد وبعد ذلك تشيع السلطان ولم يرض بمفارقة العلامة ، بل طلب منه أن يكون دائما معه ، وأسس له المدرسة السيارة ليكون هو وتلاميذه دائما معه<sup>(٣٤)</sup> .

حيث اقترح على السلطان خدابنده أن يؤسس مدرسة لتربية وإعداد طلاب العلوم الدينية فيها ، فأجاب له السلطان ، وأمر ببناء المدرسة السيارة ، وكانت تتألف من أربعة أواوين وغرف ومدارس عديدة مكونة من الخيام الكراسية ، فكانوا يرحلون برحيل السلطان، وينزلون بنزوله وكان يقيم فيها مائة طالب تتكفل المدرسة بالملبس والمأكل والدواب ، وجميع ما يحتاجونه ، وكان يدرس في هذه المدرسة علم النفس وعلم الكلام وأصول الدين وآداب البحث والاحتجاج وقواعد الجدل إلى جانب العلوم الشرعية من فقه وأصول وحديث وتاريخ ودراسة رجال مضافا إلى العلوم الأخرى كالحكمة والطبيعة والرياضة وشؤون التربية الدينية ، وتخرج من هذه المدرسة العديد من الطلاب وفي مختلف العلوم<sup>(٣٥)</sup> ، ولقد ذكره الصفدي من أنّ العلامة كان يصنّف وهو راكب في تلك المدرسة السيارة<sup>(٣٦)</sup>.

وبذلك فقد أرجع العلامة الحلبي للحلة مكانتها العلمية ، فصارت محورا رئيسيا للعلم والعلماء ، ومركزا للشريعة ، ومنها كانت تستقي المدرسة السيارة ، وازدهر العلم فيها ، وكثر العلماء في شتى العلوم ، حتى نقل أنه كان في عصر العلامة الحلبي في الحلة ٤٤٠ مجتهد ، وقال الشيخ آقا بزرك: وأما تلاميذه فكثير ممن ترجمة له في هذه المائة كانوا من تلاميذه والمجازين منه أو المعاصرين والمستفيدين من علومه حتى يصدق القول: فيما قيل: من أنه كان في عصره في الحلة ٤٠٠ مجتهد ، ونقل السيد الصدر أنه تخرج من مجلس تدريس العلامة

٥٠٠ مجتهد، حتى قيل: أن جل علماء الشيعة ما بين القرن السابع والثامن الهجري كانوا في زمن العلامة ، وخلال هذا الوقت تم تثبيت قواعد التشيع أكثر من سابقها ، فقد الف العلامة الحلي العديد من المؤلفات في مجال الفقه والاصول ، فاما في الفقه فقد الف كتب عديدة أشهرها: منتهى المطلب في تحقيق المذهب وتلخيص المرام في معرفة الأحكام وغاية الأحكام في تصحيح تلخيص الأحكام ، ومختلف الشيعة في أحكام الشريعة وتحرير الأحكام الشرعية على مذهب الإمامية وتبصرة المتعلمين في أحكام الدين وغيرها ، واما في مجال الاصول فقد الف كتب عديدة أهمها : النكت البديعة في تحرير الذريعة ، ومبادئ الوصول في علم الأصول ، ونهج الوصول إلى علم الأصول ، ونهاية الوصول إلى علم الأصول وغيرها<sup>(٣٧)</sup> .

وبعد العلامة الحلي جاء الدور الى ابنه فخر المحققين أبو طالب محمد بن الحسن بن يوسف بن المطهر ت ٧٧١ هـ من وجوه الطائفة وأعيانها ، تلمذ على أبيه العلامة الحلي ، ونشأ برعايته وعنايته ، وقرأ عليه مختلف العلوم النقلية والعقلية ، أكمل بعض تآليف والده العلامة كالألفين وغيره ، وشرح البعض الآخر كالقواعد التي رفدت مدرسة الحلة الدينية بمختلف العلوم<sup>(٣٨)</sup> .

#### الخاتمة :

بعد اتمام البحث توصلت الباحثة الى عدة نتائج منها:

- ١- كان لسقوط بغداد على يد المغول اثراً في ازدهار الحركة العلمية في الحلة نتيجة للجهود التي قام بها علمائها والتي جذبتها الدمار على يد المغول
  - ٢- اظهر البحث ان جهود علماء الحلة الذين حافظوا على حوزتها العلمية هو السبب المباشر لازدهار الحركة العلمية فيها
  - ٣- اوضح البحث ان مدرسة الحلة مثلت امتداداً لمدرسة بغداد الفقهية حيث ساهمت في تطوير مناهجها واساليبها في الفقه حتى صارت محوراً رئيسياً للعلم والعلماء.
  - ٤- تبين من خلال البحث ان الازدهار الذي شهدته الحلة على يد علمائها لم يقف على الجانب الفقهي فقط بل تعداه الى مختلف العلوم الطبية والفلسفية وعلم الكلام والطبيعة والرياض وغيرها من العلوم المختلفة.
- هوامش البحث :

(١) الطباطبائي ،علي، رياض المسائل، تحقيق ونشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، ط١، ١٤١٢هـ، ج٢، ص٢٢٠ .

(٢) الطوسي - المحقق الحلي، النهاية ونكتها الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت ١٠٦٧/٥٤٦٠م)، والمحقق الحلي نجم الدين أبي القاسم جعفر بن الحسن الهذلي(ت٥٦٧/١٢٧٧م)، النهاية ونكتها، تح: مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المقدسة، ط١، ١٤١٢هـ، ج١، ص١٠٢ .

- (٣) العلامة الحلي، أبي منصور الحسن بن يوسف بن المطهر الأسدي (ت ٥٧٢٦/١٣٢٥م)، منتهى المطلب في تحقيق المذهب، تح: قسم الفقه في مجمع البحوث الإسلامية، ط١، مؤسسة الطبع والنشر في الأستانة الرضوية المقدسة، ٥١٤١٢، ج٣، ص١٦.
- (٤) ابن طاووس، أحمد بن موسى (ت ٥٦٦٤/١٢٦٥م)، بناء المقالة الفاطمية في نقض الرسالة العثمانية، تح: علي العدناني الغريفي، مؤسسة آل البيت (ع) لإحياء التراث، قم، ١٩٩١م، ص٣٠.
- (٥) الطباطبائي، رياض المسائل، ج٢، ص٢٥.
- (٦) ابن طاووس، إقبال الأعمال، تح: جواد القيومي الاصفهاني، مكتب الإعلام الإسلامي، قم، ٥١٤١٦، ج٣، ص٩٣.
- (٧) الطوسي- المحقق الحلي، النهاية، ج١، ص١٠٦.
- (٨) اقا ضياء العراقي، شرح تبصرة المتعلمين، تح: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المقدسة، ط١، ٥١٤١٤، ج١، ص٢٧.
- (٩) العلامة الحلي، أبي منصور، إرشاد الأذهان، تح: الشيخ فارس حسون، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، ط١٠، ١٤١٠هـ، ج١، ص٣٤.
- (١٠) الكوراني، علي العاملي، كيف رد الشيعة غزو المغول، مركز العلامة الحلي الثقافي، الحلة، ٢٠٠٦م، ص٩٥.
- (١١) الطباطبائي، رياض المسائل، ج٢، ص٢٧.
- (١٢) حسن بن زين الدين العاملي، معالم الدين وملاذ المجتهدين، تح: منذر الحكيم، ط١، مؤسسة الفقه للطباعة والنشر، قم، ١٤١٨هـ، ج١، ص١٢.
- (١٣) الطوسي - المحقق الحلي، النهاية ونكتها، ج١، ص١٠٧.
- (١٤) العلامة الحلي، منتهى المطلب، ج٣، ص١٤.
- (١٥) علي الطباطبائي، رياض المسائل، ج١، ص٥٣.
- (١٦) الطوسي- المحقق الحلي، النهاية ونكتها، ج١، ص١٠٧.
- (١٧) علي الطباطبائي، رياض المسائل، ج٢، ص٢٨.
- (١٨) البهبهاني، مدارك الاحكام، ج١، ص١٠.
- (١٩) السبحاني، الموسوعة، ج٢، ص٣٨٣.
- (٢٠) البهبهاني، مدارك الاحكام، ج١، ص١١.
- (٢١) المحقق الحلي، معارج الاصول، ص٩.
- (٢٢) الطوسي- المحقق الحلي، النهاية ونكتها، ج١، ص١٠٩.
- (٢٣) محسن الامين، اعيان الشيعة، ج٤، ص٩٠.
- (٢٤) الطباطبائي، رياض المسائل، ج٢، ص٢٨.
- (٢٥) المحقق الكركي، جامع المقاصد، ج١، ص٢٠.
- (٢٦) الصدر، المعالم الجديدة للاصول، ص٧٦.
- (٢٧) الفيض الكاشاني، النخبة في الحكمة العملية والأحكام الشرعية، تح: مهدي الأنصاري القمي، ط٢، مركز الطباعة والنشر لمنظمة الإعلام الإسلامي، قم، ٥١٤١٨، ص١٢.
- (٢٨) ابن نما الحلي، نجم الدين محمد بن جعفر بن أبي البقاء هبة الله (ت ٥٦٤٥/١٢٤٧م)، مثير الاحزان، لمطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، ١٩٥٠م، ص٥.
- (٢٩) علي الطباطبائي، رياض المسائل، ج١، ص٦٢.
- (٣٠) الشهيد الثاني، زين الدين الجبعي العاملي (ت ٥٩٦٥/)، الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية، تح: محمد كلانتر، ط١، منشورات جامعة النجف الدينية، ٥١٣٩٨، ج١، ص٨٠.
- (٣١) خدابنده هو محمد بن أرغون بن أبغا بن هولوكو بن تولي بن جنكيز خان المغولي، ملك العراق وخراسان وعراق العجم والروم وأذربيجان والبلاد الأرمنية وديار بكر، وأولجايتو معناه السلطان الكبير المبارك، وخدامنده معناه عبد الله، وقيل: خربندا، ولد سنة ٦٨٠ هـ، اعتنق الإسلام وسمي بمحمد، وتلقب بغياث الدين، كان عادلا كريما سمحا، تحول إلى مذهب الشيعة الإمامية سنة ٧٠٨ هـ بعد أن كان حنفيا، على أثر مناظرات كثيرة بين المذاهب الإسلامية، وقيل: إن ذلك كان على يد العلامة الحلي، توفي في عام ٧١٦ هـ عن بضع وثلاثين سنة، ودفن في مدينة السلطانية التي أنشأها بين مدينتي قزوین وهمذان، انظر: محسن الامين، أعيان الشيعة، ج٩، ص١٢٠ - ١٢١.
- (٣٢) العلامة الحلي، مختلف الشيعة، ج١، ص٣٣.
- (٣٣) النور: ٦١.

- (٣٤) محسن الامين، اعيان الشيعة، ج٥، ص٣٩٩ .  
 (٣٥) العلامة الحلي، الحسن بن يوسف (ت٥٧٢٦هـ)، تبصرة المتعلمين في أحكام الدين، تح: أحمد الحسيني، انتشارات فقيه ، طهران، ٥١٣٦٨، ص٨ .  
 (٣٦) الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١٣، ص٥٤ .  
 (٣٧) العلامة الحلي، ارشاد الأذهان، ج١، ص٥٣ .  
 (٣٨) علي الطباطبائي، رياض المسائل، ج١، ص٥٦ .

### المصادر والمراجع:

#### المصادر:

- الصفدي، صلاح الدين بن خليل بن ابيك، (٥٧٦٤/١٣٦٢م)
- ١- فوات بالوفيات، تح: احسان عباس، ط١، دار صادر، (بيروت-١٩٧٣م).
- الحلي، أبي منصور الحسن بن يوسف الحلي، (ت٥٧٢٦هـ/١٣٢٥م)
- ٢- ارشاد الأذهان الى احكام الإيمان، تح: فارس الحسون، ط١، مؤسسة النشر الاسلامي، (قم-١٤١٠هـ).
- ٣- تبصرة المتعلمين في احكام الدين، تح: أحمد الحسيني وهادي اليوسفي، ط١، مؤسسة الوفاء، (ايران-١٣٦٨ش).
- ٤- مختلف الشيعة، تح: مؤسسة النشر الاسلامي، ط١، (قم-١٤١٢هـ).
- ٥- منتهى المطلب في تحقيق المذهب، تح: قسم الفقه في مجمع البحوث الاسلامية، ط١، (مشهد-ايران-١٤١٢هـ).
- الشهيد الثاني، زين الدين الجبعي العاملي، (ت١٥٥٧هـ/١٩٦٥م)
- ٦- الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية، تح: محمد كلانتر، ط١، مكتبة الداوري، (قم-١٣٨٦هـ).
- ابن طاووس، احمد بن موسى بن جعفر، (ت١٢٦٤هـ/١٢٦٥م)
- ٧- إقبال الأعمال، تح: جواد القيومي، ط١، مكتب الاعلام الاسلامي، (د-م-١٤١٤هـ).
- ٨- بناء المقالة الفاطمية في نقض الرسالة العثمانية، تح: علي العدناني، ط١، مؤسسة آل البيت (ع) لإحياء التراث الجعفري، (بيروت-١٤١١هـ/١٩٩١م).
- الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت٤٦٠هـ/١٠٦٧م)، والمحقق الحلي، نجم الدين أبي القاسم جعفر بن الحسن الهذلي (ت٦٧٦هـ/١٢٧٧م)
- ٩- النهاية ونكتها، تح: مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين، ط١، (قم المقدسة، ١٤١٢هـ).
- الكركي، علي بن الحسين بن عبد علي، (ت٩٤٠هـ/١٥٣٤م)
- ١٠- جامع المقاصد في شرح القواعد، تح: مؤسسة أهل البيت (ع) لإحياء التراث الجعفري، ط١، (قم-١٤٠٨هـ).
- ابن نمى، جعفر بن محمد بن هبة الله، (ت٦٤٥هـ/١٢٤٧م)
- ١١- مثير الاحزان ومثير الاشجان، د-تح، ط١، (النجف الأشرف-١٩٥٠م).

#### المراجع:

- الأميني محسن عبد الكريم
- ١٢- اعيان الشيعة، تح: حسين الأمين، دار التعارف للمطبوعات، (بيروت-١٩٨٣م).
- البهبهاني، محمد باقر الوحيد
- ١٣- الحاشية على مدارك الأحكام، تح: مؤسسة آل البيت (ع) لإحياء التراث الجعفري، ط١، (قم-١٤١٩هـ).

- السبحاني، جعفر
- ١٤- موسوعة طبقات الفقهاء، ط١، مؤسسة الإمام الصادق (ع)، (قم-١٤١٨هـ).
- الصدر، محمد باقر
- ١٥- المعالم الجديدة للأصول، ط٢، مطبعة النعمان، (النجف الأشرف-١٣٩٥هـ/١٩٧٥م).
- الطبطبائي، علي
- ١٦- رياض المسائل في بيان أحكام الشرع بالدلائل، تح: مؤسسة النشر الاسلامي، ط١، (قم-١٤١٢هـ).
- العاملي، علي الكوراني
- ١٧- كيف رد الشيعة غزو المغول، ط٢، مركز العلامة الحلي الثقافي، (الحلة-١٤٣١هـ/٢٠١٠م).
- العاملي، الحسن بن زيد بن علي
- ١٨- معالم الدين وملاذ المجتهدين، تح: لجنة التحقيق في مؤسسة النشر الاسلامي، (قم-د-ت).
- العراقي، اقا ضياء الدين
- ١٩- شرح تبصرة المتعلمين، تح: مؤسسة النشر الاسلامي، ط١ (قم-١٤١٤هـ).
- الفيض الكاشاني، محمد مرتضى
- ٢٠- النخبة في الحكمة العملية والأحكام الشرعية، تحقيق وتقديم: مهدي الانصاري القمي، ط٢، مركز الطباعة والنشر لمنظمة الاعلام الاسلامي، (ايران-١٤١٨هـ).